تربية الخيول العربية

قراءة في تجارب

الأمير محمد علي توفيق

سعيد شرباش

تربية الخيول العربية

قراءة في تجارب

الأمير محمد علي توفيق

سعيد شرباش

يتناول هذا الكتاب المؤلفات الخمسة للأمير محمد علي توفيق والتي تمثل ثروة فريدة تستند إلى تجربة عملية امتدت أكثر من ٣٥ سنة فى مجال تربية الخيل.

وقد اخترنا ، أن نقدم التجارب الكاملة لمؤلفها فى مجال تربية الخيل إلى القراء والمربين والدارسين والباحثين فى مجال تربية الخيل.

يحكي الأمير محمد علي توفيق عن تلك الفترة المهمة فى حياته:

«أحببت الخيل منذ حداثتي، وابتدأت أمتطي جيادي منذ كان عمري ست سنوات، وكان معلمي هو الباشا الجركسي الذي أرسله جدي المغفور له عباس باشا الأول أكثر من عشرين مرة لشراء آصل الخيول العربية وجلبها إلى مصر، حتى يقال إن مجموعة الخيول التي كانت لعباس باشا الأول لم يحرز مثلها إلا الملك سليمان.

ومن هنا كان اهتمامنا بجمعها فى كتاب واحد من خلال قراءة واعية ترصد الفوائد وتبرز النصائح ، وتسعي لتعظيم الإيجابيات التي تضمنتها مؤلفاته الخمس ، وتلافى السلبيات التي أشار إليها المؤلف بين السطور .

تصميم الغلاف
فرح الشناوى

تمهيد

كرم الله سبحانه وتعالى الخيل فى القرآن الكريم، كما كرمتها السنة النبوية الشريفة، حيث فضّل الله عز وجل الخيل على سائر الدواب والأنعام.

فقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالخيل خمس مرات فى سورة العاديات، و لا يقسم سبحانه إلا بعظيم تكريمًا لهذه المخلوقات، واستعراضًا لعظمة وإبداع الخالق.

وذكرها الله فى مواضع كثيرة بأسمائها وصفاتها وحركاتها، والمنافع التي تعود على الإنسان من اقتنائها، وحسن القيام على شئونها.

وفى السنة النبوية الشريفة يوضح الرسول، صلى الله عليه وسلم، أفضلية الخيل على باقي الدواب والأنعام فى أحاديث كثيرة، منها قوله صلى الله عليه وسلم: «الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة».. «رواه مسلم»

والإنفاق على الخيل من أفضل الصدقات والقربات إلى الله عز وجل. وقد لفت الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذه الحقيقة بقوله: «إن المنفق على الخيل فى سبيل الله كباسط يديه بالصدقة لا يقبضها».. «رواه أحمد».

وقد ورث الأمير محمد علي توفيق عن أجداده- خاصة عباس باشا الأول- حب الخيل، ورعايتها، والعناية بكل شئونها حتى أصبح واحدًا من القلائل الذين تميزوا بخبرة واسعة فى مجال تربية الخيل واقتنائها.

وزاد على هؤلاء الأجداد أنه قدم للمكتبة العربية عددًا كبيرًا من الكتب والرسائل فى مجال تربية الخيل تمثل بحق ثروة معلوماتية فريدة تستند إلى تجربة عملية استمرت أكثر من ٣٥ سنة فى هذا المجال، وتمثل مراجع مهمة للمربين والدارسين والباحثين فى شئون الخيل.

ولا يملك قارئ هذه المؤلفات إلا أن ينظر إليها بما تستحقه من إجلال

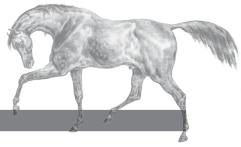

وتقدير؛ لما تميزت به من دقة المعلومات وحقائق وتجارب عايش من خلالها الأمير محمد علي توفيق الخيل فى كل شئونها على الرغم من تبوئه مكانة رفيعة فى ذلك الوقت، حيث كان وليًا للعهد ثلاث مرات : الأولى استمرت سبع سنوات فى عهد أخيه الأكبر عباس حلمي الثاني، والثانية استمرت ثلاث سنوات فى عهد الملك فؤاد الأول، والثالثة استمرت خمسة عشر عامًا فى عهد الملك فاروق، كما عين وصيًا على عرش مصر لحين بلوغ الملك فاروق السن القانونية

ويتضح من تلك المؤلفات والرسائل أن أعباء ولاية العهد لم تمنعه من مواصلة رسالته تجاه عشقه الكبير: «الخيل».

وقد اخترنا من هذه الكتب والرسائل أبرزها وأهمها، لنقدم من خلالها التجارب الكاملة لمؤلفها فى مجال تربية الخيل، بما تحمل من نصائح من شأنها النهوض بالحصان العربي عالميًا، وكذلك ما تضمنته من سلبيات لتلافيها.

وتشمل هذه المجموعة من الكتب والرسائل ما يلي:

١ ـ «رسالة فى الخيل» وضعها الأمير محمد علي توفيق عام ١٩١٨م ، كما هو مدون على غلافها، وطُبعت عام ١٩٢٥م بمطبعة الاعتماد.

دونت فى ٢٠ صفحة من القطع المتوسط، وحمل الغلاف أنه «قام بتدوينها وطبعها أحمد مختار» والنسخة محفوظة بمكتبة الأزهر الشريف.

وتتناول موضوعات مهمة، منها: تاريخ الحصان، والجواد الأصيل، والأصيل العربي، والأصيل الإنجليزي، والأصيل المستعمل فى الخبب، ونصف الأصيل، ورجال الخيل، والطقوم، ثم كلمة فى تربية الخيل.

٢ ـ «رسالة فى خدمة الخيل والعناية بها»: من محفوظات دار الكتب المصرية، وخلا غلافها من تاريخ تأليفها وطباعتها، وإن كان يحمل اسم «مطبعة البلاغ الأسبوعى».

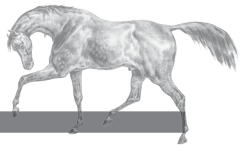

وتقع هذه الرسالة فى ٤٨ صفحة من القطع المتوسط، وتتناول كل ما يتصل بتربية الخيل وصحتها وجمالها، مثل: غسل الحصان، وعمليات الزينة، ونظام الإسطبل، وعاداته، والتدفئة، والغذاء، والرضاعة، وأصول التغذية، وغيرها.

٣- «نبذة عن جياد الخيل «الأصائل» فى مصر»: خلا غلاف النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية من تاريخ تأليفها وطباعتها.

وتقع هذه النسخة فى ١٦ صفحة من القطع المتوسط، وتتناول عدة موضوعات مهمة، منها: منافع الخيل عند العرب، وعناية علي باشا شريف بجياد الخيل، وتدريب الخيل، وفوائد حياة الخيل فى الصحراء ومضارها، وتفوق الجواد الطارق «الطلوقة»، واضمحلال الألعاب والفروسية، والأصل فى الجياد الإنجليزية.

٤ - «كتاب حول تربية الخيول العربية» الجزء الأول: صدرت طبعته الأولى باللغة الانجليزية وترجمته «الجمعية الزراعية الملكية» عام ١٩٣٥م إلى اللغة العربية، وصدرت الطبعة الثانية عام ١٩٣٨م.

ويقع هذا الكتاب فى نحو ٧٥ صفحة، اشتمل بعضها على صور تبرز عناية أبناء محمد علي باشا وأحفاده بالخيل.

ويتكون من مقدمة وستة فصول على النحو الآتي:

الفصل الأول: الخيول العربية الأصيلة فى مصر.

الفصل الثانى: الحصان العربي والثقافة العربية.

الفصل الثالث: فى قوام الخيول العربية وألوانها.

الفصل الرابع: تربية الخيل.

الفصل الخامس: ألعاب الفروسية.

الفصل السادس: مختلف المسائل.

٥ - «كتاب حول تربية الخيول العربية» الجزء الثانى: صدر باللغة

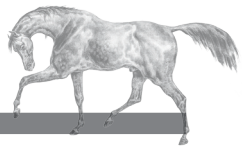

الانجليزية وترجمته «الجمعية الزراعية الملكية» للغة العربية عام ١٩٣٦م، ويقع فى نحو ١٠٠ صفحة، اشتمل بعضها على صور، ويأتى استكمالاً للجزء الأول، حيث خلا من المقدمة، ويتكون من ثلاثة أبواب:

الباب الأول: يشتمل على عشرة فصول، تتناول: أذناب الخيل، والسروج، واللجام، والتنعيل، وغسل الخيل، والسير، والتربية والتوليد، وأجناس الخيول العربية، والانتخاب، وطريقة العرض.

الباب الثانى: يتضمن معلومات مهمة عن الخيل، استقاها المؤلف من عدد من المؤلفات القيمة من مختلف العصور.

الباب الثالث: استعرض فيه - لأول مرة - أهم ما تضمنته مخطوطة عباس باشا الأول عن «أصول الخيل العربية» التى تعد فريدة فى بابها، حيث احتوت على معلومات مهمة عن أصول الخيل وأنسابها وأنواعها، جمعها فريق بحثى من كبار المعنيين بتربية الخيل من خلال شهادات حية لشيوخ القبائل العربية الذين التقاهم الفريق البحثى.

إن هذه المؤلفات الخمسة تتكامل فيما بينها لتقدم لمربي الخيل ومحبيها- فضلاً عن القارئ المهتم بشئون الخيل- موسوعة شاملة تجمع بين العلم والخبرة والتجربة، وهي بهذا لا غنى عنها للمعنيين بهذا المجال.

ومن هنا كان اهتمامنا بجمعها فى كتاب واحد من خلال قراءة واعية ترصد الفوائد، وتبرز النصائح، وتسعى لتعظيم الإيجابيات التي تضمنتها، وتلافى السلبيات التي أشار إليها المؤلف بين السطور.

وعلى الرغم من أننا نقدم قراءة فى تجارب الأمير محمد علي توفيق فى مجال «تربية الخيل» فإننا لم نهمل نصوص مؤلفاته، بل حرصنا على إثباتها حتى إن قارئ هذا الكتاب يجد فيه غنى عن الاطلاع على تلك المؤلفات والرسائل فى أصولها.

والحقيقة أن هذه المؤلفات والرسائل تتميز بسهولة الأسلوب، ووضوح الأفكار،

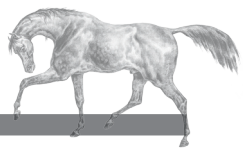

وسلامة الجمل والعبارات، بما يضمن الوعى الكامل والفهم الصحيح لمضامينها من مختلف الفئات، ومن ثم حسن الإفادة منها فى المجالات العملية المتصلة بحياة الخيل.

وقد أكد الأمير محمد علي توفيق أن مؤلفاته فى مجال تربية الخيل العربية استهدفت عدة أمور مهمة، أبرزها:

- أنها إجابة لرغبة الكثيرين من أصدقائه الأجانب.
- إظهار الصورة الحقيقية للحصان العربى الذي حاز أكبر فخر وتقدير.
- ذكر ما اقتبسه الحصان الإنجليزي الأصيل من صفات الحصان العربي.
- الإفادة من تجربته الشخصية التى استمرت أكثر من خمس وثلاثين عاما.
- غياب حقائق مهمة عن كتب الأوروبيين فى هذا الموضوع.

ويرجع حبه الكبير للخيل إلى العديد من الأسباب، أبرزها:

- ارتباطه بها منذ حداثة سنه.
- حكايات معلمه عن الخيل.
- زيارته جميع معارض الخيل فى العالم.
- اقتناؤه مكتبة كبيرة عن الخيل باللغات الأجنبية.

وتَوقَّفَ الأمير محمد علي توفيق طويلاً أمام «قوام الخيول العربية» لتحديد المواصفات المثالية لأعضاء جسم الخيل، خاصة الآذان، والعيون، والجبهة، والمنخارين، والذيل، والرقبة.

كما تناول قوام الخيول، فأبرز محاسن ألوانها، خاصة الأحمر، والأبيض، والأشقر الداكن، واللون الأسود.

وَقَدِّمَ خلاصة تجربته فى مجال تربية الخيول، فشدد على أن شهادة النسب إن لم تعزز حسن الهيئة وجمال المنظر بدلائل فعلية فى جودة النسل فإنها تكون قصاصة ورق لا قيمة لها، وأشار إلى أن أفضل مواعيد «التناسل» ما كان فى أول الربيع حتى يتم «الوضع» بعد مرور الصقيع، وعند حلول الصقيع

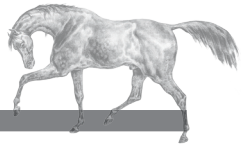

الثاني يكون المولود ذا قدرة على احتماله.

وقال: مدة الحمل فى الخيول العربية أحد عشر شهرًا أو تزيد قليلاً. وبعد الوضع وقطع السرة يدلك المهر باليد مع قليل من الزبدة الطازجة، ويرفع الذيل إلى أعلى، ويشمم المهر شيئًا من البصل لتنبيهه ثم يرضع. ولا يصح أن يغفل ربط بطن الفرس بضعة أيام منعًا لارتخائه.

ويجب أن تكون للفرس رقبة طويلة وبطن متسع، وهذا شرط أساسي فى فرس الإنتاج لأن مثل هذه الفرس تلد أمهارًا أقوياء أصحاء ويمكن أن تنتج مثل أجدادها السالفين أمهارًا جميلة.

وكشف الأمير عن سر عادة العرب إعطاء الأمهار لبن النوق، متسائلاً: هل هذا هو السبب فى امتياز الخيول التي تربى فى بادية العرب بقوة الاحتمال على الخيول الأخرى؟.

ويجيب عن تساؤله قائلاً: خصصوا لبن الجمال والماعز لهذا الغرض، ولم يقولوا لبن البقرة ولا الجاموسة، لأن الأولى بطيئة، والثانية تنام فى المستنقعات.

وعن ركوب الخيل وتعليمها قال: يعتقد كثير من الناس أن الضباط المدربين فى مدارس السواري هم أقدر الناس على تدريب الخيل، ولكني أعتقد أن تجار الخيل أقدر الناس على ذلك، حيث إن الحصان الذي يعلمه الضابط فى عدة أشهر قد يعلمه التاجر فى بضعة أيام بطريقة عملية.

وأبرز الأمير قضية مهمة بقوله: إن جميع الأمم تستعين بالحصان العربي فى تحسين خيولها، لأن السرعة والصفات التي يمتاز بها لا توجد فى أي جنس آخر من الخيول، وقوة التحمل كامنة فيه، ولكنها لا تحتاج إلا لمجهود بسيط لإظهارها وتحسينها.

وجَزَمَ بأن الغرب مدين للشرق بإعطائه «مزايا الحصان العربي» وأكبر دليل على ذلك الحصان الإنجليزي الذي تناسل من الحصان العربي «دارلي» سنة ١٧٠٥م.

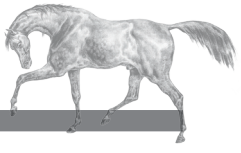

ورأى أن إدخال الحصان العربي «دارلي» أوجد الحصان الإنجليزي الأصيل، وهذا بدوره استعمل لتحسين نتاج الخيول فى ممالك كثيرة، وعليه يمكن القول إن ذلك كان سببًا فى إكساب إنجلترا ملايين الجنيهات.

وعابَ على العرب أنهم لم يقومون بعمل كتب تسجل فيها أنساب الخيل كما يفعل الأوروبيون، وذلك لانهماكهم كل الوقت فى الحروب، حيث لم يكن هناك ود وصفاء متبادل بين القبائل.

وأعربً عن أسفه لأنه أصبح من الصعب الحصول على خيول عربية ممتازة، لأن التمدن جعل اقتناء الخيول من الكماليات، وليس من الضروريات كما كان، وابتدأ الأتراك بتهجين الحصان العربي بالخيول الأوروبية لتنمية جسمه حتى إن السلطان عبد الحميد نفسه أطلق على أفراسه العربية الأصيلة خيولاً إنجليزية وجرمانية وهنجارية.

وأخيرًا رغب محبو السباق فى مصر فى سرعة الخيول فهجنوها من خيول إنجليزية فأنتجت خيولاً بين بين واعتبر بعضها «خيولاً عربية».

ومن أطرف ما جاء فى مؤلفاته أنه عقد مقارنة بين الحصان والمرأة فيما يتصل بأمرين مهمين: الجمال والقوة؛ إن الأغنياء يميلون إلى الجمال ويفضلون الحصان الرشيق على الحصان النافع. وهذا مثل امرأة جميلة وخادمتها قوية، فأيهما المفضل: الجمال أم القوة؟

وسيجد القارئ بين دفتي هذا الكتاب الكثير من المعلومات المهمة التي قدمها الأمير محمد على توفيق لكل المعنيين بتربية الخيل فى كل مكان من العالم.

نسأل الله تعالى أن ينفع به الجميع.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

سعيد شرباش

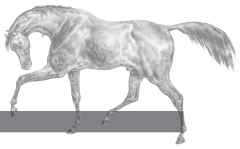

المغفور له الأمير محمد علي توفيق